من وحى الحرب

وداعاً...!

الأستاذ كامل محمود حبيب

وداعاً ، يا عزيزتى ، وداعاً !

بين هذه الزعازع التى تلف العالم فى ثورتها ، وهذه العواصف التى تصعق الأمم فى شدتها ، وهذه النزوة الطائشة التى تبتلع الشعوب فى احتدامها ... وقفتُ أنا أهتف بك : وداعاً ، يا عزيزتى ، وداعاً !

وانسرب بك القطار إلى الريف الجميل ، إلى حيث تنعمين بالهدوء والراحة ، إلى حيث تجدين لذة الأمان والطمأنينة ؛ وخلّفتنى ألوّح لك بمنديل أبيض قائلاً : وداعاً ، يا زوجتى ، وداعاً ! ...

ووجدتُ فقدك ، فغمرتنى لجة من الخواطر السود ، وأنا فى مكانى أشهد القطار وهو يتوارى خلف الأفق ... ثم عرتنى نكسة الفراق ، فتراءت لى من خلالها أنانيتك ، وأنت تسدلين عليها — فى ساعة الوداع — سجفاً من عبرات خادعة كاذبة ، هى صورة من قلب المرأة الفارغ

ورجعت أتخبط فى أرجاء الأرض ، وقد لسع الحزن فؤادى ؛ تضيق نفسى بالوحدة ، ويتحرّق قلبى بالوحشة

* * *

ودخلت الدار وحدى فأحسست مقتها وخيل إلىّ أنها تكاد تلفظنى لأننى غريب عنها وهى غريبة عنى . لقد امتدت حماقتك إلى أثاثك فحملته — من قبل — إلى دار أبيك

ورحت أطوّف فى أنحاء الدار فما أجد بعض آثارك ، فعلمت أنك أردت أن تمحى تاريخك من عمرى وألقيت كتبى وحدها تناديني فجلستُ إليها أتلمس السلوة

آه لو ألقيتُ إليك السّلم فقذفت بكتبى حيث طوّحتِ أنت بأثاثك ، إذن لاستشعرت فقدك مرتين

إن حرصك على حاجاتك انتزع منها الحياة فهى لُقًى فى ناحية من دار ، أما اعتزازى بكتبى فما انفك يبث فيها الحياة

* * *

لا جرم ، قد اتخذت أوصالك وانخلع قلبك ، أول ما دوت صفارة الإنذار ، فانبعثت تبحثين عن نفسك وقد تبعثرت فى سلسلة الصوت

ثم تطاير الحمم من فوهات المدافع يزلزل الأرض والقلب فى وقت معاً ، فاندفعت تصرخين ، وأنا أهدىء من روعك فما أصنع شيئاً

وهالنى ما رأيت فتركت لك الخيرة من أمرك لأننى أشفقت عليك ، فآثرت الرحيل

لا بأس ، فقد خشيت أن يلفك بعض غضب الإنسان الوحشى الذى لا يفترس — حين تتأجج حيوانيته — بالناب والظفر ، بل بالقنبلة والمدفع والرصاصة و ... مما لا يسمع ولا يرى ولا ... ولا يبى

وغرّك شبابك الفض وجمالك الخلاب وأملك الباسم ، فضننت بها جميعاً أن تكون طعمة لثورة الإنسان

وحرصت الحرص الذى ينزع بالمرأة دائماً إلى أن تنسى كل شىء إلا أن تكون عالة تتدلل

وتركتنى من ورائك جندياً فى الميدان ، أحمل عبء نفسى وعبء عملى وعبء الدار وعبء الفزع الأكبر الذى يتهددنى ، وأنت بين أهلك لا تحتملين شيئاً من كلف الحياة

هذا ، يا عزيزتى ، هو الإخلاص الذى تغنيت به زماناً فانخدعتُ له ؛ والآن — حين مرج الأمر — تبعثر فى دوى الصيحة الكبرى

* * *

إن المرأة ، يا سيدتى ، معمل تفريخ فحسب ، فإن هى عجزت عن أن تكونه فقد تعطلت وظيفتها ، وبطل عملها فى الحياة

وأنا عشت معك عمراً من عمرى ، أصفيك محض الود ، وأحبوك خالص العطف ، على حين قد لبثت سنين أنتظر ... غير أنك كنت جرداء قاحلة لم تتفتح حياتك الجافة عن نبتة واحدة

أستمتع فيها بنور الحياة الجميلة ، فما ضاقت بك داري ولا غصت بك أيامي ...

يا عجباً ! لقد نسيت أنك كنت وأني ... ففزعت عني أحوج ما أكون إليك ، وطرت بعلمك الجاهل وعقلك المأفون ، وفي رأيي أن المرأة المتعلمة العاقلة ليست في الميدان أماً لطفل فحسب ، بل هي أم ذلك الجندي الذي تعركه الحادثات وتصفعه النوازل ، وهي ... وهي رأب صدعه ، ولكنك عجزت عن أن تكوني واحدة منهن

وثقلت عليك أيامي وأحلامي معاً فانفلت إلى أهلك ، ولكن جشعك الوضيع كان يبعث بك إليّ أول كل شهر لتعبطي حجتك الواهية وتفندي رأيك الخاوي

* * *

لا ضير ، يا سيدتي ، فإن طرفي النقيض لا يتلاقيان إلا في شرع امرأة

في الريف ، أخذ عقلك الفج يفتن في الزينة والتعرية و ... تباهين بها فتيات من أهلك هن دونك لأنك أنت زوجي

ورحت تتبذلين في دار الاحتشام ، وتتفننين عطرك الذكي بين الحظائر والزرب ، وتتأنقين في ربى الطبيعة الساذجة ، وتنشرين ثراءك في بلاد التربة والفقر ، ونسيت أنك تؤرثين نار الحقد في قلب الفلاح المسكين ، وتبذرين غراس الطمع في وطن القناعة والرضا

بالله لقد عجزت عن أن تلدي طفلاً فرحت تلدين في مأساة الحياة مهزلة تسخر منك

فهجرت المدينة والمدنية ما تبرح تتوثب في دمك وتتناثر حواليك سموماً تلهم قلب الريف الطاهر التقي

آه ، لقد خفت أن تمر يدك الغضة الناعمة على جنة الريف النضيرة فتذرها جحيماً تتسعر

فذهبت إليك أخفف من غلوائك وأسكّن من حدّتك فابتسمت في فتور وقد طمت بك شيطانيتك التي لا ترعوي

وآذني أن أرزح تحت حماقتك وجهلك وغباوتك وأنانيتك فأسدلت على أيامك ستراً ، ثم انطويت وأنا أهتف بك : وداعاً ، يا عزيزتي ، وداعاً !

* * *

وشملني ظلام الدار وظلام الحياة وأنا ما أزال في فرحة العمر وربيع الشباب ، فانطلقت أقتبس من قبس من نور

لا تحزني يا زوجتي ، فأنت ... أنت دفعتني

وتلمست ، فإذا فتاة في ريق العمر وزوة الشباب ، تبذك جمالاً وفتنة ، وتفوقك علماً وأدباً ، وتعجزك حسباً وثراء ... وتلاقينا على ميعاد

ووصلت حبلاً بحبل ، ونعمت ، من بعدك ، بالحياة بعد إذ أمضني ملمسها الخشن

واطمأنت نفسي إليها واطمأنت هي

وجلسنا في خلوة ، ثم ... ثم دوت صفارة الإنذار ، فانخذلت أوصالها وانخلع قلبها ، وانبعثت تبحث عن نفسها وقد تبعثرت في صلصلة الصوت

وانكشفت لي عن امرأة مثل من أعرف : امرأة فيها روح الثعلب أو شيطانة في مسلاخ امرأة

فطرحتها جانباً وانطلقت وأنا أهتف بها : وداعاً ، يا عزيزتي وداعاً !

« مشهر » . فاضل محمود حبيب

معهد التناسليات

قد افتتح معهد التناسليات ببرلين تأسيس الدكتور ماجنوس هيرشفلد فرعاً له بمدينة القاهرة بعمارة روفيه رقم ٤٦ بشارع المدابغ لخدمة سكان مصر والشرق تليفون ٥٢٥٧٨ لمعالجة جميع الاضطرابات والأمراض الجنسية والسلالية والعقم عند الرجال والنساء وتجديد الشباب بحسب الطرق المتبعة في المعهد الرئيسي بمدينة برلين . ومواعيد العيادة يومياً من الساعة ٩ ١ صباحاً ومن ٤ ٥ مساء .

ملاحظة - لا يمكن إعطاء نصائح بالرسالة الا بعد الاجابة على مجموعة الاسئلة السيكولوجية المنشورة على ١٤١ سؤالاً التي يمكن الحصول عليها بنظير ٥ قروش صاغ .

(سجل تجاري ٥٢٢٧)